أحبة الضاد
أخوات
إسراء عماد

أخوات

إسراء عماد

تصنيف العمل: قصة قصيرة

المؤلف \ ة: اسراء عماد

تصميم الغلاف: اماني زيدان

الاخراج الفني: اماني زيدان

دار احبة الضاد للنشر الالكتروني

أحبة الضاد

رئيس مجلس الإدارة:

سلمى جمال

هدير إبراهيم

كانــــت تجــول بـــين الأبنيـــة المـــدمرة تحــت أشـــعة الشـــمس الحارقــــة، وصــــوت الزنانـــات يقطـــع الصــمت المهيــب بــين الركــام، فتــاة فــي مقتبــل العمــر تسـير وحـدها قاطعـة أميـال بحثًـا عـن مـا يسـد رمـق جوعهــا، لــم تعــد تعــرف ملامــح هــذه المدينـــة، أيــن هـــي ولأيـــن وصـــلت، فالــــدمار يحـــول دون معرفـــة المكــان، أخــذت تجــر معهــا كيسًــا كبيــرًا لعلهــا تجــد مــــا يســـاعدها علــــى العـــيش لتحملـــه معهـــا، راحـــت تتخطـــى الكثيـــر مـــن الحطـــام فلـــم يعـــد للشـــارع وجـــود بهـــذا المكـــان، وعليهـــا أن تصـــعد تلـــة الركـــام هـــذه لتـــرى إلـــى أيـــن ســـتذهب بعـــدها، الخـــوف يقبـــع فـــي جـــزء بعيـــد مـــن حجـــرات قلبهـــا، والجثـــث المتنـــاثرة فـــي كـــل مكـــان، وأشـــلاء الأطفـــال تنظـــر إليهـــا، لقـــد تحطمـــت وفقـــدت كـــل أثـــر للحيـــاة، أو للخـــوف بعـــد مـــا أصـــابها، صـــعدت التلـــة ونظـــرت إلـــى الأســـفل هـــا هـــو البحـــر، إنـــــه بحـــــر غـــــزة الـــــذي ولطالمـــــا جمعهـــــا بأحبائهـــا، لقـــد كانـــت تلهـــو وتلعـــب هنـــا هـــي وأختيهـــا

منذ بضعة أشهر، بدأت ترى ملامح المكان؛ نعم، فهنا كان واحدًا من أفضل مطاعم غزة المشهور بطعمه الفريد والمميز، هنا احتفلت بعيد ميلادها العشرون مع والديها وأختيها، لقد تبدلت سكنات المكان كثيرًا، واستحال اللون الرمادي على كل شيء عدا من انعكاس صورة السماء على سطح البحر، لقد مات كل شيء في مدينتها ولم تمت الحياة، لكنها لا تستطيع أن تتجاوب مع هذا، لا تملك القدرة على التعايش بعد أن فقدت كل من لها في هذه الحياة.

نزلت من على التلة متجهة إلى الشاطئ لتجلس هناك على رماله الذهبية الرطبة، وتشاهد غروب الشمس الصافي بعد أيامٍ من متابعة الدخان؛ جال في ذاكرتها آخر يوم قبل الحرب كانت قد أتت إلى هنا مع أختيها وتناولن المثلجات أثناء مشاهدة الغروب، كانت أختها

الوسطى والتي تصغرها بعامين فقط تتحدث عن أحلامها:

_يا له من جمال مهيب!، أتعلمن، أنا أرغب بأن أصبح رسامة، سألتحق بكلية الفنون الجميلة، وأول مشهد سأرسمه هو هذا الغروب.

لتتحدث الصغرى وترد عليها: وما هو المميز في رسم الغروب؟ فالكثير من الرسامين والفنانين سبقوك في هذا؛ لكن لم يسبقني أحد في رؤيته كما أراه، إن غروب مدينتنا ليس كأي غروب، على الأقل بالنسبة لي.

كانت أختها ترى كل شيء بعيني فنان، لكن لم تكن رسمتها الأولى عن الغروب، فبعد أيامٍ من الحرب رسمت أول رسمة لها، والتي كانت تتضمن منزلهم المدمر، رسمته بكل وجعٍ وحسرة.

نزحوا بعد تدمير المنزل، وكان عزائهم الوحيد أنهم نجوا من هذا القصف، توجهوا إلى الجنوب للمنطقة الآمنة في خانيونس، التحقوا بعدها بإحدى مراكز الإيواء في المدارس، تابعوا حياتهم مع أحزانهم والبسمة على محياهم رغم الخوف والألم والجوع رغم الشتات، كانوا يتقاسمون مهام العيش بكل رحابة صدر، بين إحضار للماء وجلب للطعام وغسل للملابس وغيرها من المهام الشاقة التي تستحوذ على الكثير من الوقت، وهي التي لا تأخذ شيئًا في العادي، لتأتيهم قصمة الظهر والغدر من الجيش الذي عُرف بغدره وبطشُه، الجيش الذي لا يَعرف معنى للرحمة أو الإنسانية، فتدخل قوات الاحتلال إلى المدرسة تفتك بالكبير والصغير، ولا تترك شيئًا، أحرقوا الأغراض، وجرفوا المباني، لم ينج والديهم في ذلك اليوم؛ لقد قُتلا غدرًا ممن غدروا الأنبياء، نجت وأختيها

بأعجوبة مع بعض الناجين بعد خروج اليهود من المدرسة إثر ما خلفوا فيها من دمار، لقد شاهدن مقتل والديهم أمام أعينهن، الآن ما بات للأمان مكان بيننا ولا للفرح، كانت أختها الصغرى والتي تبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا ترتجف من هول ما رأت، لقد خط الفزع خطوطه على وجهها، وكانت الوسطى صامتة لا تتحدث، أو تبكي، أو تفعل شيء، أخذت تهدأ من روع أختيها رغم بكائها الذي يحرق خديها ويحيل عينيها رمادًا بعد تلك النار، لم يزر النوم أعينهن تلك الليلة، وها قد أشرقت شمس يومٍ جديد.

كانت تتذكر تلك الحسرة التي عاشتها برفقة أختيها، كن يهدأن من روع بعضهن البعض، ويمسحن دموع بعض، لم يزرهن الفرح بعد هذا الحادث، لكنهن أبين ألا يستسلمن للواقع المرير؛ بحثن عن مأوى ليبتن فيه بعد أسبوع أقمن فيه بين الركام، وها قد وجدن خيمة صغيرة تستر

أجسـادهن عـن عـراء العـالم، كـن يبكـين معًـا، ويـأكلن معًـا، ويبحـثن عمـا يعيـنهن علـى العـيش معاً، اقتسمن مشاق الحياة وأوجاعها.

هـذا الشـعور يخنقهـا يكبـل قلبهـا بأسـياخ مـن حديـد، تـذكرها لإخوتهـا وكيـف كـن يخففـن مـن آلام بعـض، أخـذت تقلـب فـي جوالهـا، والـذي احتفظـت بـه رغـم مـا تتكبـده مـن صـعاب للحصـول علـى لقمـة للعـيش، فقـد كـان بإمكانهـا بيعـه إن قبـل شـراءه أحـد لتشـتري الطعـام، لكنـه يحـوي صـورهم جميعًـا، هـي وأختيهـا ووالـديها، لـن تفـرط فـي آخـر مـا تبقـى لها منهم، لن تفرط في الذكريات.

تـذكرت كيـف اغتـال قنـاص مـن الاحـتلال أختهـا وهـي تحضـر بعـض المـاء، وكيـف ظلـوا أيامًـا لا يسـتطيعون الاقتـراب مـن جثتهـا لـدفنها، وكيـف واسَـت أختهـا الوسـطى، وكيـف واسَـتْها أختهـا، كيـف أصـبحْن يـنمن كُـل ليلـة محتضـنات بعضـهن

البعض، وكنّ يخشين الفراق لثانية، أصبحن يفعلن كل شيء معًا، وأصبح كل شيء أصعب وأقسى، ها هي مشارف رمضان تهل، والحرب لا تزال مستمرة، والجوع والألم لا يزالان يلاحقان كل شبرٍ في هذه الأرض، لم يقبع الألم في قلوبهن فحسب؛ بل دق كل باب واقتحم كل شخص.

حل الظلام وهي لا تزال جالسة عند الشاطئ، أخذها التفكير والشرود ونسيت أن عليها المغادرة قبل الظلام لتتمكن من رؤية طريقها لخيم النازحين في دير البلح، والتي نزحت إليها مرة أخرى بعد أن فقدت أختها الوسطى في قصفٍ همجي أصاب خيمتهم في رفح، نجت منه بإصابةٍ طفيفةٍ في الظهر، وبضع شظايا في ذراعها اليسرى، لكنها فقدت أخر من كان لها، فقدت روحها وعمرها، واحتل الشيب محله في خصلات شعرها الأسود كسواد الفلق.

بـــدأت تتحســـس طريقهـــا للخـــيم، وقـــد ســـاعدها صـــفاء السـماء فـــي هـــذه الليلـــة واكتمـــال القمـــر، عـــادت بعـــد جهـــد جهيـــد إلـــى خيمتهـــا وإذا بإحـــدى جاراتهـــا فـــي المخـــيم والتـــي تعرفـــت إليهـــا مـــؤخرًا كانـــت فـــي انتظارها.

_ لقد كنت قلقةً عليكِ أين كنتِ؟

_ عند البحر.

_ هل تناولتي الطعام؟

_ لا.

_ لقـــد وصـــلتنا اليـــوم بعـــض المســـاعدات، وقـــد احتفظـــت إليـــكِ بحصـــة مـــن الطعـــام، فأنـــا أعلـــم أنـــكِ لم تتناولي شيئًا منذ أيام.

_ شكرًا لكِ.

_ العفو فنحن أخوات.

_ نعم أخوات